الدور الوطني لمدرسة النجاح في نابلس في إعداد النخب الوطنية المغربية ١٩٢٨ - ١٩٣٥

أ. د. بشرى خير بك

الدور الوطني لمدرسة النجاح في نابلس
فـي إعداد النخب الوطنية المغربية
١٩٢٨ - ١٩٣٥

أ. د. بشرى خير بك

أولاً: المقدمة:

أسهمت الوحدة الجغرافية للوطن العربي في ترسيخ عوامل التواصل والترابط عبر التاريخ بين شطريه المغربي والمشرقي، فكان للتطورات السياسية في المشرق صداها في المغرب، والعكس صحيح، رغم الانفصال السياسي الذي تكرر مرات عدة بطرائقٍ مختلفة خلال التاريخ الإسلامي لهذين الشطرين–مع بقاء التواصل الحضاري– بسبب رغبة المغاربة في إعادة هذا الترابط الذي تحقق أثناء الوجود العثماني في المشرق، من خلال انضوائهم تحت لواء السلطنة العثمانية التي تمكنت من ضم الأقطار المغربية (الجزائر١٥١٨ وطرابلس الغرب ١٥٥١ وتونس ١٥٧٤) ماعدا المغرب الأقصى الذي حمى سواحله من الغزو الايبيري دون الاستعانة بالعثمانيين. وكان لمعركة وادي المخازن (معركة الملوك الثلاثة) في العام ١٥٧٨ الأثر البالغ على المغرب، إذْ أعاد له هيبته في محيطه[١]، بل أوقف حملة

[١]- عن معركة وادي المخازن: شارل أندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، تعريب محمد المزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨، ص ٢٧٠ .

- Coissac De Chavrebiere : Histoire Du Maroc Poyot , Paris , 1931 , p. 310-312 .

عثمانية ضده، وبدلاً من الحملة أرسل العثمانيون وفد تهنئة[٢]، ولكن المغرب مثله مثل باقي الدويلات العربية تعرض لسيطرة الغرب، ولم يتح له المجال للحفاظ على استقلاله.

وهذا ما مكّن الدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين من سيطرتها المباشرة على أقطار الشمال الأفريقي العربي، في الوقت الذي كان فيه المشرق العربي يواجه مصيراً مختلفاً من ترسيخ شقاق عقائدي بين الأجزاء الأسيوية والأفريقية كان له نتائج بعيدة المدى على الوطن العربي، لأنه وقع في مرحلة كان فيها العرب يجتازون تجربة تجديد شامل. وقد تمثل هذا الشقاق العقائدي بتعدد التيارات السياسية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، بحكم الخصوصية التي ألحقتها الدول الأوروبية بالدويلات العربية، تبعاً لهوية المحتل الخاصة وتعدد اساليب سيطرته. وقد انحصرت هذه التيارات السياسية بأربعة: هي تيار الجامعة الإسلامية، وتيار الرابطة العثمانية، وتيار الوطنية الإقليمية، وتيار القومية العربية[٣]. ومع تعدد هذه التيارات السياسية إلّا أنّ روادها تمكنوا في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين من إيجاد قواسم مشتركة بين هذه التيارات أدت إلى لقاء فكري بين المشرق والمغرب، ويعود السبب في ذلك إلى تعدد عوامل التواصل ورسوخها بين هذين

---

٢)- ذكرت العديد من المصادر المغربية مثل ((مناهل الصفا)) للفشتالي، و((المنتفى المقصور)) لابن القاضي، و((النفحة المسكية)) للتمجروني، و((روض الآس)) للمقري أن المنصور السعدي وجه دعاة من علمائه إلى المشرق، وكاتب علماء المشرق، وأن الكثير من عرب المشرق مالت نفوسهم إليه، للمزيد: عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، شركة المطبع للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٧٧، ص ١٨٦-١٨٨.

٣)- للتفصيل في أهم التيارات: علي محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤، الطبعة الخامسة بيروت، ١٩٨٧.

الشطرين من الوطن العربي، فضلا" عن المساعي السياسية الاستعمارية التي استهدفت كل ماله صلة بمكونات المجتمعات العربية ومقومات هويتها من دين ولغة وقيم وثقافة.

وقد كان لهذا اللقاء الفكري بين شطري الوطن العربي ترجمته في مناسبات عديدة، أكّد المشرق من خلالها على دور نهضته الفكرية[٤] في تنبيه رواد الفكر المغربي الذين نهلوا من تيار الفكر الإصلاحي، ليكون معينهم في إصلاح مجتمعاتهم ليصبح لديها القدرة على مواجهة الاستعمار الذي استهدف فصلهم عن تراثهم ولغتهم وتاريخهم. ولم تكن البعثة الطلابية التي أرسلها رائد الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة ١٨٨٨-١٩٣٥ من تطوان – عاصمة الشمال المغربي، والمركز الإداري للحماية الإسبانية – إلى نابلس بفلسطين في العام ١٩٢٨ بعيدة عن هذا الخط الإصلاحي الذي سبق ذُكره .

١-أهمية البحث وإشكاليته:

تكمن أهمية بحث "الدور الوطني لمدرسة النجاح في نابلس، في إعداد النخب الوطنية المغربية" من خلال أهمية ثانوية النجاح التي أُسّست في نابلس بفلسطين في العام ١٩١٨، لتوفير فرص تعليمية مختلفة عما كانت توفره مدارس الإرساليات الأجنبية، فضلاً عن الرغبة في إيجاد مستوى عالٍ من التربية لتنشئة زعماء المستقبل لقيادة الحركة الوطنية التحررية في المشرق والمغرب بمختلف جوانب النضال الثقافي والسياسي والسلمي والمسلح وغيرها، وبث الروح الوطنية وإثارة الأماني القومية فيهم، هذا إلى جانب دور هذه المدرسة في إعداد الأطر الوطنية في المغرب الأقصى، في مرحلة كانت فيه كل من فلسطين والمغرب الأقصى ترزحان تحت نير الاستعمار وسيطرته.

---

[٤]- عن النهضة في المشرق يمكن العودة إلى: البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٨٩ – ١٩٣٩ ترجمة كريم عزقول، الطبعة الثالثة، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧، ص ٥١- ٢٣٣ .

أمّا إشكالية البحث فتتركز على سبب اختيار مدرسة النجاح في نابلس لتكون مقصد الطلاب المغاربة، رغم توفر خيارات أخرى داخل الوطن العربي وخارجه، كان بالإمكان اختيارها لتكون مقصد هؤلاء الطلاب، فضلا" عن أن دور مدرسة النجاح الوطني هو موضوع جديد لم يسبق أن دُرس بهذه الطريقة.

٢– هدف البحث:

هدف البحث إلى تقديم لمحة بسيطة عن الواقع السيّئ الذي كان يعانى منه كلا البلدين فلسطين والمغرب الأقصى، وقدرة بعض زعماء النهضة العربية الغيورين على أمتهم من تجاوز الواقع المرير، ومحاولة النهوض بالمجتمع العربي في المغرب كما في المشرق، من خلال إعداد أطر وطنية مغربية وفق أسس علمية في إحدى أهم مدارس المشرق آنذاك، وهي "مدرسة النجاح "في نابلس التي فرضت نفسها بوصفها أحد أهم مراكز التعليم من جهة، وأحد أهم المعاقل الوطنية من جهة أخرى، ولكن دون التطرق لدراسة النظام التعليمي .

ثانياً: لمحة عن أوضاع الوطن العربي بعد الحرب العالمية الأولى:

شهد المغرب الوطن العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، على حد سواء، انقلابات سياسية واضطرابات اجتماعية واقتصادية كبيرة، إذْ خرج الوطن العربي بشقيه المغربي والمشرقي من الحرب دون أن يحقق الاستقلال الذي ينشده[٥]. فأقطار المغرب العربي ظلت ترزخ تحت سيطرة الاستعمار الغربي كما كانت قبل الحرب، عدا مصر التي انفردت بمعركة تحرر وطني متميزة ضد الاحتلال البريطاني اتسمت بتوجهها لأن تصبح مصرية من الناحية

5)- Modernization in The Middle East The Ottoman Empire And Its Afro-asian Successors . Written Under The Auspices Of The Center Of International Studies And The Program In Near Eastern Studies , Princeton Universty Gyril E. Black And L. Carl Brown , Editors . P.171.

السياسية والفكرية، تنظر إلى كفاحها وتنظيمها وعملها على أنه كفاح وتنظيم وعمل مصري بعيدة كل البعد عن ما كان المشارقة يترقبونه يومئذ [٦].

أنكرت الدول الاستعمارية على العرب حقهم بالاستقلال والوحدة، وجزأت المنطقة العربية، وكرد فعل على هذه السيطرة الغربية قامت القوى الوطنية على امتداد الوطن العربي بثورات مسلحة شملت أقطاره كلها ما عدا تونس والجزائر اللتين اتخذ النضال فيهما شكلا" سلمياً". إلا أن إخفاق هذه الثورات أمام ضربات القوى الاستعمارية فرض عليها المهادنة بعض الوقت، وإتباع أسلوب الكفاح السياسي كوسيلة لتحقيق أمانيها في الاستقلال والوحدة [٧].

وقد شهدت أقطار المغرب العربي بعد الحرب العالمية الأولى تمايزا" في تطور حركاتها الوطنية. ففي الجزائر– كما تذكر المصادر– تأخر نضال الحركة الوطنية بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة عمّا هي عليه في تونس وأقطار المشرق العربي، ويعزى ذلك إلى أسباب سياسية، أهمها عزلة الجزائر وراء ستار حديدي ضربه الفرنسيون حول تلك المستعمرة، عدا عن عدم معرفة الجزائريين حينئذٍ بالتنظيم السياسي، ظنا" منهم بأن فرنسا لا تقهر. بينما كان لتأخر احتلال تونس نحو نصف قرن عن الجزائر دوراً" في أن تعيش تجربة سياسة التجديد والإصلاح بل النظام الدستوري المحدود في عهد ما قبل الحماية. أما في المغرب الأقصى

---

٦)- عن هذه المرحلة يمكن العودة إلى: خيرية قاسمية، الوطن العربي بين الاتجاه القومي ودوافع التجزئة في الفترة بين الحربين العالميتين، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، عدد ١٢، أيار، ١٩٨٣، ص ٩٢ – ١٠٥.

٧)- قاسمية، الوطن العربي بين الاتجاه، ص ٩٤ .

فلم تكن مرحلة المقاومة المسلحة قد انتهت عندما بدأ الوطنيون في مراكش نضالهم على الصعيد السياسي[٨].

ثالثاً: لمحة عن الواقع السياسي في المغرب الأقصى:

فرضت فرنسا سيطرتها على المغرب الأقصى بحكم معاهدة الحماية التي وقعتها مع السلطان المغربي عبد الحفيظ (١٨٧٦-١٩٣٧) في ٣٠- آذار- ١٩١٢، التي بموجبها فقد المغرب استقلاله على المستويات كلها، ولاسيما السياسي. وتوجت هذه المعاهدة بمعاهدة أخرى بين فرنسا واسبانيا بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٢ اقتضت تقسيم مناطق النفوذ لسيطرة كلتا الدولتين، فكانت حصة فرنسا ٤٥٠٠٠ كم٢ من جنوب البلاد، وحصة اسبانيا ٢١٠٠٠ كم٢ من شمال البلاد. وفي ١٨- كانون الأول ١٩٢٣ أحدثت منطقة نفوذ دولي بطنجة إثر معاهدة فرنسية اسبانية بريطانية وقدرت مساحته بـ ٣٢١ كم٢، وشكل هذا التقسيم أقسى أنواع الاستعمار في العصر الحديث، لأنّه مزق الكيان المغربي، وأفقده سيادته على أرضه وشعبه[٩].

ترك التقسيم أثره البالغ في مسار تاريخ المغرب المعاصر، فقد كان لكل منطقة نظامها الخاص بها، ممّا جعل المغاربة محرومين من التنقل بين مدينة وأخرى إلا بموجب تصريح استعماري لا يُعطى في غالب الأحوال. وحُرم المواطنون من حقوقهم العامة والخاصة، إضافة

---

[٨]- عن هذه المرحلة من الأقطار المغربية وأهم مصادر هذه المرحلة: أمحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣، القسم الثالث ص ٢١١ – ٣٢٦ .

[٩]- للتفصيل: محمد خير فارس، المسألة المغربية ١٩١٢– ١٩٣٩، دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديث، الطبعة الثانية بيروت، ١٩٨٠، ص ٣– ٧٩ .

إلى تعميق الاستعمار للجهل والأمية، وتشجيعه لكل ما هو ضد المعرفة، فانتشر التخلف والعادات والتقاليد البالية التي تدعو إلى التواكل والشعوذة والخرافات، وهذا ما أبعد الإنسان المغربي عن فهم واقعه وعدم قدرته على تحليل ما يجري حوله ليخرج من حالة التردي إلى حالة أكثر تطوراً، ولاسيما وأن الأمل الذي أعطته ثورة عبد الكريم الخطابي (١٨٨٢-١٩٦٣) في مواجهة المستعمر، أخذ يتلاشى عندما تم القضاء عليها وعلى جمهورية الريف التي أسسها في ١٨- أيلول ١٩٢١ حتى ٢٧- أيار ١٩٢٦[١٠]. لذلك كان لابدّ من نهج سبل الكفاح السياسية على أسس براغماتية (عملية) ولاسيما بعد إخفاق المقاومة المسلحة. كما كان لابد من وضع خطط واضحة المعالم لنشاط الحركة الوطنية في شمال المغرب.

وكان الحاج عبد السلام بنونة (أبو الوطنية المغربية) [١١] من أوائل الوطنيين الذين أخذوا يبحثون عن خطوات هذه الخطة من خلال نظرة واقعية للأسباب التي أدّت إلى احتلال المغرب. ولاسيما أنّ الحاج بنونة قد شكل مع عدد من الغيورين على بلادهم المغرب نواة

---

[10]- حول ثورة الخطابي: أحمد البوعياشي، حرب الريف التحررية ومراحل النضال،طنجة،١٩٧٩. علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، مراكش، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٤٨، ص ١٢٥-١٤٠.

[١١]- ترجع أصول عائلته إلى الأندلس، في حين أن أصوله القريبة المعروفة ترجع إلى جده الفقيه المحدث الحاج محمد بن عبد الواحد، الذي قدم من فاس إلى تطوان في أوائل القرن الثامن عشر، عرف عبد السلام بلقب «أبو الحركة الوطنية المغربية»، عمل على توثيق نشاطه الوطني في المنطقة الخليفية مع كتلة العمل المراكشي، فتعاون مع علال الفاسي لإنشاء فروع للكتلة في الشمال، وذلك تثبيتاً لفكرة وحدة الوطن الذي سعت إليها كتلة العمل، ووضع خطة واضحة المعالم لنشاط الحركة الوطنية في شمال المغرب واستقطب حوله مجموعة من الرجال والشباب وبدأ يقود ويوجّه هذه المجموعة للعمل ضد الاحتلال الاسباني . كما أسهم في تأسيس المدرسة الأهلية ورعايتها، وأسهم مالياً لتغطية مصاريف إنشائها، وتطوع للتدريس فيها. للمزيد: محمد بن عزوز حكيم، أب الحركة الوطنية المغربية الحاج عبد السلام بنونة حياته ونضاله، جزءان ،طبعة أولى، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٨٧، جـ ٢، ص ١٥- ٥٠ .

النخبة الوطنية من أمثال المكي الناصري(١٩٠٦– ١٩٩٤) الذي أسهم في تأسيس "الرابطة المغربية" السابقة لكتلة العمل الوطني، وهي أول هيئة سرية لمقاومة الاحتلال، ومحمد بن الحسن الوزاني (١٩١٠–١٩٧٨) مؤسس حزب الشورى والإستقلال وجريدة عمل الشعب والحركة القومية المغربية وحزب الدستور الديمقراطي، وعلال الفاسي (١٩١٠–١٩٧٤) مؤسس حزب الإستقلال وزعيم الحركة الوطنية المغربية وأحد أعلام الحركة الإسلامبة الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين التي دعيت "بالسلفية الجديدة [١٢]، وابراهيم الكتاني (١٩٠٨–١٩٩٠) أحد مؤسسي الحركة الوطنية المغربية وعبد الخالق الطريسي (١٩١٠–١٩٧٠)، أحد رواد الحركة الوطنية، ومن المشاركين في تأسيس جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين سنة ١٩٣٠، ومؤسس جمعية الطالب المغربية، أصدر جريدة الحياة الإسبوعية، في العام ١٩٣٤، ثم جريدة الحياة اليومية، وبعدها أصدر جريدة الأمة.

وكان جلّ هؤلاء الرواد الوطنيون من أبناء الأسر الحضرية العريقة، ومن الطبقة الاجتماعية التي يمكن أن يقال عنها: إنها طليعة البرجوازية المغربية، وكان أعضاؤها متخرجين إما من التعليم المغربي التقليدي وإمّا من المدارس الفرنسية الإسلامية بالشكل الذي وضعتها به الحماية وأوقفتها على تعليم أبناء الأعيان. وهكذا كانت تلك النخبة تامة التكوين

[١٢]– السلفية الجديدة كما وصفها علال الفاسي : وطنية في مضمونها السياسي والنضالي ، ليبرالية من حيث منطلقاتها وأسلوبها في التفكير ، وبهذا المعنى فقد تحولت السلفية التي أُخِذَت من المشرق من دعوة إلى تطهير الدين وتخليصه مما هو سلبي ومظلم إلى ايديولوجيا تغذي العمل الوطني وتصوغ شعاراته وتحدد مساره بشكل يخدم مصالح الحركات الوطنية المغربية . علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، الطبعة الأولى، مراكش ، ١٩٤٨، ص ١٥٦ – ١٥٩ . أيضاً:

Ali Merad ، Le Reformisme ، musulman ، En Algerie ، De 1925 A 1940 ، Las Editions El Hikma ، Alger ، 1999 .p 133 .

قادرة على البحث عن أنجع السبل للسير إلى الأمام[١٣]. وممّا هو جدير بالذكر أن هؤلاء الرواد، فضلاً عن غيرهم من الوطنيين الحريصين على تطور المغرب واستقلاله، قد شكلوا " كتلة العمل المراكشي[١٤] التي كان لها الدور الأهم في تاريخ الحركة الوطنية المغربية.

ضمن السياق، وظروف الاحتلال تلك، يذكر المهدي بن الحاج عبد السلام بنونة (١٩١٩-٢٠١٠)[١٥] أنّ والده اعتقد أن احتلال المغرب نتج عن تدهور اقتصادي وعلمي وثقافي، ولن يكون بمقدوره أن يساير التطور العالمي إلا بنهضة اقتصادية وعلمية وثقافية، لذلك ارتأى ضرورة مقاومة السيطرة والاحتلال الأجنبي بمكافحة الأسباب التي قادت إلى هذا الواقع، ولم يكن ذلك متاحاً إلاَّ بوضع أسس سليمة لاقتصاد مغربي وطني، وبتلقي المغاربة العلوم الحديثة. بذلك لجأ الحاج بنونة إلى وضع قاعدة لاقتصاد وطني في الشمال المغربي[١٦]، وعلى مستوى التعليم راودته فكرة إرسال بعثات من أبناء المنطقة للدراسة خارج المغرب لعدم توافر مدارس إعدادية أو ثانوية ليكمل الطلاب تعليمهم فيها بعد المرحلة

---

[١٣]- البشير تامر، حركات التحرر والاستقلال في المغرب الأقصى، من كتاب: المرجع في تاريخ الأمة العربية، ٧ مجلدات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، المجلد ٧، ٢٠٠٨، ص ٩٤ .

[١٤]- عن أهمية هذه الكتلة في العمل الوطني المغربي يمكن العودة إلى: صلاح العقاد، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصره، الجزائر – تونس– المغرب الأقصى، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٣٥٩ – ٣٦٦.

[١٥]- أحد أعلام الصحافة والسياسة والدبلوماسية المغربية، ومن أهم رجالات الحركة الوطنية المغربية، ومؤسس وكالة المغرب العربي للأنباء، ناشط بارز في منظمة الهلال الأحمر المغربي، كما شغل بين ١٩٨٥-١٩٨٨ منصب الخازن العام للمجلس التنفيذي للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر. مهدي بنونة، المغرب السنوات الحرجة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩، ص ١٠.

[١٦]- للتفصيل المصدر نفسه، ص ١١.

الابتدائية. وكانت رغبته بتوجيه هذه البعثات إلى فلسطين دون غيرها لجملة من الأسباب سيرد ذكرها لاحقا".

رابعاً: البعثة الطلابية التطوانية إلى مدرسة النجاح بنابلس:

فكر الحاج عبد السلام بنونة في إرسال بعثات من أبناء المغاربة للدراسة خارج الغرب، وخاصة في المشرق العربي، وقد تعذر عليه إرسال هذه البعثات على حسابه الخاص".... بالطبع يمكن أن يرسل أبناءه لكن لم يكتف بذلك بل سعى مع أصدقائه في الحركة الوطنية وأقنعهم بإرسال أبنائهم للخارج"[١٧]. وقد وقع الاختيار على مدرسة النجاح الوطنية بنابلس[١٨].

١-سر اختيار نابلس للبعثة الطلابية:

اعتاد طلاب العلم في المغرب العربي التوجه إلى مصر لإتمام تعليمهم، لكن الحاج بنونة أراد أن يتلافى إرسال البعثة إلى مصر بسبب ما برز فيها من أفكار فرعونية وإلحادية[١٩]. ففي أواخر العشرينيات انتشرت في مصر، وبشكل خاص داخل الأوساط المتعلمة ظاهرتان، أدتا بالمغاربة للعزوف عن إرسال أبنائهم للدراسة في القاهرة. تمثلت الظاهرة الأولى في الحنين للنعرة والثقافة الفرعونية، أمّا الظاهرة الثانية فهي موجة الالحاد التي عمت بعض الأوساط المثقفة[٢٠]. وكان لكتابات الكاتب المصري سلامة موسى ١٨٨٧-

[١٧]- المهدي بنونة، المغرب السنوات...، ص ١٢.

[١٨]- حكيم، أبو الحركة الوطنية ..... حـ ٢، ص ٦٠.

[١٩]- جريدة نابلس، نابلس ، فلسطين، ٢٢-٣-٩٩٦، ص ٦ .

[٢٠]- المهدي بنونة، السنوات الحرجة، ص ١٢.

١٩٥٨[٢١] والتيار الذي ارتبط به دور في ذلك، ولاسيما أن أراء سلامة موسى قد جذبت الكثيرين[٢٢].

ونظراً إلى الأسباب المذُكورة فقد امتنع العديد من رجالات الحركة الوطنية في شمال المغرب عن إرسال أبنائهم للدراسة في مصر – باستثناء من كانوا يتوجهون إلى الأزهر – خشية أن تؤثر فيهم تلك التيارات[٢٣]. وهنا لابد من الإشارة إلى أن مصر في هذه المرحلة أصبح لها خصوصيتها بسبب ما شهدته من تحولات عميقة بعد ثورة ١٩١٩ اعتمدت على وحدة وطنية لا تفرق بين مسلم وقبطي.

---

[٢١]- يمكن تلخيص فكر سلامة موسى بثلاثة توجهات: أولها العقلانية والتمثل بالغرب، وثانيها الديمقراطية الليبرالية والعلمية، وثالثها تحرير المرأة. سلامة خليل، سلامة موسى وعصر القلق، سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة .

[٢٢]- وحسب ما ذكر المهدي بنونة من الضروري الإشارة "إلى أن الإسلام يمتزج بمكونات الشخصية المغربية، بل هو الأساس في تحديد هوية هذه الشخصية، وأعتقد أن المغربي حتى يومنا هذا لا يحس إلا (بجنسيته الإسلامية) ولا يوجد إحساس بالعروبة يماثل الإحساس الموجود في المشرق العربي، وفي رأيي أن تفسير ذلك سهل،.. نلاحظ أولاً: أن المغرب لا يوجد فيه مسيحي عربي فالمغاربة كلهم مسلمون سنيون يعتنقون المذهب المالكي، بمعنى أن مذهبهم واحد ولا يوجد في المغرب مذهب سواه. ثانياً: دافع المغرب تاريخياً عن الإسلام ضد الحملات المسيحية الأوروبية التي قضت على الإسلام في الأندلس، وأرادت أن تقضي عليه فيما عرف آنذاك بأفريقيا إذ عُرفت منطقة المغرب العربي– المغرب، الجزائر، وتونس في أوروبا بإفريقيا. وثالثاً: نظراُ إلى عدم وجود مسيحيين في المغرب، في الماضي والحاضر، فقد أصبحت كلمة ((مسلم)) مرتبطة في ذهن رجل الشارع المغربي ((بالمغربي)) وحتى يقول أحد المغاربة أنه التقى بنصراني أو زاره نصراني، فهو لا يعني ((المسيحي)) تدقيقاً، ولكنه درج على استعمال لفظة " نصراني " للحديث عن الأوروبي أو الأجنبي عموماً". المهدي بنونة، المغرب ...، ص١٢–١٣.

[٢٣]- المهدي بنونة، السنوات الحرجة، ص ١٣ .

كان لابدّ للحاج بنونة من إيجاد بديل عن مصر، ووقع الخيار على إرسال ابنه إلى مدرسة النجاح في نابلس بنصيحة من الأمير شكيب أرسلان[٢٤] الذي اجتمع معه في العاصمة السويسرية جنيف، وكان الأمير قد بدأ وقتها يتجه نحو الأقطار المغربية لتثقيف عدد من زعماء المغاربة الشباب الذين كانوا يتابعون دراستهم في أوروبا، مثل محمد بن الحسن الوزاني (١٩١٠–١٩٧٨)، وأحمد بلفريج (١٩٠٨–١٩٩٠)، الذي بفضله انتقلت إلى المغرب أفكار الجامعة العربية[٢٥] التي كان أرسلان يدعو إليها، والتي أدت دوراً مهماً في وصل الحركة الوطنية المغربية بالحركة الوطنية العربية خارج المغرب[٢٦]، لذلك عندما طلب

---

[٢٤]- شكيب أرسلان (١٨٦٩– ١٩٤٦ م)، أديب وكاتب وشاعر ومؤرخ وسياسي، لقبه رشيد رضا بـ (أمير البيان)، كان في بداية حياته السياسية عثماني النزعة، ولكن عندما انتهت الحرب العالمية الأولى، وتوضح الجو السياسي أمام عينيه، التفت نحو الأمة العربية وأولى قضاياها اهتمامه، وأطلق أول دعوة للوحدة العربية، وأول فكرة لتأليف الجامعة العربية. استقر في أوروبا ٢٥ سنة، كانت بدايتها في برلين، وانتقل منها إلى جنيف، وشغل فيها مركز أمين عام للمؤتمر السوري–الفلسطيني سنة ١٩٢١م، واختارته اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ليكون عضوا" في الوفد العربي الذي يدافع عن قضايا العرب أمام جمعية الأمم، وفي جنيف أصدر مجلة ((الأمة العربية)) باللغة الفرنسية، وفي سنة ١٩٣٦م اختارته الحكومة السورية رئيسا" للمجمع العلمي العربي، إلا أنه رفض هذا المنصب احتجاجا" على فرنسا التي تنكرت للمعاهدة المعقودة مع سورية عام ١٩٣٦م. عاد إلى وطنه، الشويفات في لبنان، عام ١٩٤٦م حيث توفي فيها. شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، تقديم رشيد رضا، القاهرة، ص ١١–١٩. أيضا": أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، دار الجيل، بيروت.

[٢٥]- أول من دعا الى فكرة (الجامعة العربية) والدعوة للوحدة العربية كان الأمير شكيب أرسلان، حتى أن الملك فيصل بن الشريف حسين قال لأرسلان: أشهد أنك أول عربي تكلم معي عن الوحدة العربية، وقد كان ذلك إثر الحرب العالمية الأولى، إذْ وجد أن (الإبقاء على البلاد العربية إبقاء على عمود الإسلام....) شكيب أرسلان ، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، تقديم محمد رشيد رضا، مراجعة خالد فاروق، دار البشير، القاهرة ، ص ١٧ .

[٢٦]- دوغلاس آي أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣، ص ٨٣ .

عبد السلام بنونة النصح من الأمير فيما يخص مسألة تعليم أبناء المغاربة، كانت نصيحة الأمير بإرسال تلك البعثات إلى فلسطين.

وبناءً على هذه النصيحة اتصل الحاج بنونة بصابر الشنار الطالب في إحدى جامعات فرنسا، الذي سبق أن تخرج في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس، فأعطاه عنوان المدرسة واسم مديرها حينئذٍ المجاهد الوطني والمؤرخ الكبير الأستاذ محمد عزت دروزه[٢٧]، الذي أرسل إليه برامج الدراسة، وشروط الالتحاق بها، ورحب باستقبال بعثة مغربية في المدرسة، كما اتصل الوالد بالزعيم الوطني الكبير سماحة الشيخ محمد أمين الحسيني(١٨٩٥-١٩٧٤)[٢٨] الذي زكَّى مدرسة النجاح الوطنية، رغم وجود نوعين من المدارس في فلسطين، المدارس الوطنية أو "الأهلية" والمدارس الحكومية، وهي المدارس التي أنشأتها سلطات الاحتلال البريطاني[٢٩]،

---

[٢٧]- ١٨٨٧-١٩٨٤، مفكر وكاتب ومناضل قومي عربي ولد في نابلس وتوفي في دمشق، فضلاً عن نضاله السياسي كان أديباً ومؤرخاً وصحفياً ومترجماً ومفسراً للقرآن، وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي إلى جانب ساطع الحصري وذكي الأرسوزي. سميح شبيب، محمد عزة دروزة تسعون عاماً من الكفاح، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٨، أيلول، ١٩٨١. محمد عزة دروزة، مذكرات محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣. عادل غنيم، محمد عزة دروزة، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

[٢٨]- محمد أمين الحسيني: ولد في القدس لعائلة ميسورة، تلقى تعليمه الديني في زمن مبكر من عمره، واستكمل ذلك في الأزهر، أسس ((النادي العربي)) في العام ١٩١٥ وترأسه، أُنتخب مفتياً للقدس عام ١٩٢١، كما ترأس المجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين في العام ١٩٢٢. فضلاً عن مهام عديدة أوكلت إليه ، نادى الحاج أمين علناً بوجوب محاربة الحكم البريطاني والغزو الصهيوني، عاش حياته دفاعاً عن القضية الفلسطينية. الموسوعة الفلسطينية، القسم العام أربعة أجزاء، الطبعة الأولى،دمشق،١٩٨٤، ج٤، ص ١٣٨-١٤٢ .

[٢٩]- عن أنظمة التعليم التي كانت متوافرة في فلسطين في تلك المرحلة: الموسوعة الفلسطينية، ج٤، ص ٥٥ .

لكن اختيار الحاج بنونة وقع على ((مدرسة النجاح)) وهي مازالت موجودة إلى يومنا هذا بعد أن تحولت إلى "جامعة النجاح "[٣٠].

٢-مدرسة النجاح:

لم يكن في فلسطين كلّها إلى العام ١٩١٨ إلاَّ مدرسة ثانوية واحدة في القدس، ممّا دفع بعض أهل العلم والمهتمين بشؤون التعليم في نابلس لتأسيس مدرسة النجاح الوطنية في العام ١٩١٨. وكانت تضم روضة أطفال وسبع سنوات ابتدائية وأربعاً ثانوية، كما كان فيها قسم داخلي بلغ عدد طلابه مئة طالب. وكانت النجاح تؤهل خريجيها للقبول في السنة الأولى في الجامعة الأمريكية في بيروت دون حاجة إلى امتحان عام أو امتحان قبول خاص" وكان الغرض من إنشائها توفير فرص تعليمية غير التي توفرها مدارس الإرساليات الأجنبية، فضلاً عن الرغبة في إيجاد مستوى عال من التربية لتنشئة زعماء المستقبل وبث روح الوطنية، وإثارة الأماني القومية فيهم. وهكذا أصبحت مدرسة النجاح معقلاً من معاقل القضية الفلسطينية شأنها في ذلك شأن روضة المعارف في القدس"[٣١].

عُرفت مدرسة النجاح في شتى أقطار الوطن العربي بمستواها العلمي المتميز، وسمعتها الوطنية الطيبة بفضل جهود مجلس الإدارة وجهود أساتذتها الذين عملوا على رفع سمعة المدرسة علمياً ووطنياُ. فقد ضمت المدرسة نخبة ممتازة من الأساتذة من بينهم محمد عزة

[٣٠]- المهدي بنونة، المغرب السنوات....، ص ١٤ .

[٣١]- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، ج٤، ص ٤٥٥ .

دروزة، وأكرم زعيتر ١٩٠٩-١٩٩٦[٣٢]، والشاعر ابراهيم طوقان ١٩٠٥-١٩٤١[٣٣]. وغيرهم من رواد الحركة الوطنية في فلسطين. وقد عمل هؤلاء الأساتذة وغيرهم من زملائهم على تعبئة مشاعر الطلاب بالوطنية الصادقة ومعاداة الصهيونية والاستعمار[٣٤]. وقد كانت هذه نقطة مهمة في ايدولوجيات القيادات السياسية الوطنية المشرقية ولاسيما في سورية الطبيعية (بما فيها فلسطين) إذْ وجدت في الفكرة القومية سبيلاً مهماً لمقاومة المستعمر، فقد كانت" أفضل الأسلحة المتوافرة للدفاع عن مصالحها، مادامت أداة في أيدي عناصر من هذه الطبقة "[٣٥].

٣- البعثات الطلابية التطوانية إلى مدرسة النجاح:

أرسل الحاج بنونة في العام ١٩٢٨ شابين للدراسة في نابلس على سبيل التجربة، وهما ابنه الأكبر الطيب بنونة وزميل له هو مصطفى أفيلال . وكان سنهما في حدود ١٧ سنة. وأمضيا سنة في مدرسة النجاح ثم عادا إلى المغرب. بعدها طلب منهما الحاج عبد بنونة

---

[٣٢]- أديب وسياسي قومي عربي، ولد في مدينة نابلس، والده الشيخ عمر زعيتر (الجزائري) من كبار رجالات نابلس، وترأس بلديتها في أوائل القرن العشرين، أخوه العلامة عادل زعيتر شيخ المترجمين العرب. محمد عمر حماده، أعلام فلسطين في القرن السابع حتى العشرين ميلادي، طبعة أولى، دار قتيبة، ١٩٨٥، ص ٣٥٠-٥٦.

[٣٣]- يعتبر أحد الشعراء المنادين بالقومية العربية، والمقاومة ضد الاستعمار الأجنبي للأرض العربية، ولاسيما الانجليزي، له العديد من الدواوين الشعرية . الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مجلد ١، ص ٣٩.

[٣٤]- في العام ١٩٤١ تغير اسم مدرسة النجاح الوطنية فأصبح "كلية النجاح الوطنية" والتحقت بها أعداد غفيرة من طلاب فلسطين وواكبت نهضة التعليم في البلاد، ومكنت طلابها من الحصول على الدرجات العالية للالتحاق بالجامعات العربية والعالمية. ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، السنة الثانية، ١٩٥٠-١٩٥١، ص ٥٠.

[٣٥]- فيليب خوري، سوريا والانتداب الفرنسي-سياسة القومية العربية ١٩٢٠-١٩٤٥، ترجمة مؤسسة الأبحاث العربية طبعة أولى، بيروت،١٩٩٧، ص ٤٢ .

تقريراً عن الدراسة والحياة المعيشية في نابلس كي يتسنى له الحكم على تلك التجربة. وحين كان رأيهما إيجاباً عن الدراسة والمدرسة اقتنع الحاج بنوتة بالتجربة، وطلب من أصدقائه العمل على إرسال أبنائهم إلى نابلس.

وفي العام ١٩٢٩ غادر المغرب بعثة من عشرة طلاب للالتحاق بمدرسة النجاح، تكونت الرحلة من الأخوين الطيب والمهدي أبناء عبد السلام بنونة، ومصطفى أفيلال، ومحمد الفاسي الحلفاوي، وعبد السلام بن جلون، ومحمد عبد السلام الخطيب، ومحمد الخطيب، وعبد الله الخطيب، وأحمد بن عبد الوهاب، والتحق بالبعثة في العام نفسه الأشقاء عبد المجيد حجي، وعبد الكريم حجي، وسعيد الحجي. الذين فضلوا متابعة دراستهم في دمشق بعد قدومهم إلى نابلس[٣٦].واستمرت أفواج الطلبة المغاربة تأتي تباعاً إلى مدرسة النجاح حتى العام ١٩٣٥، وهو العام الذي أسس فيه رجال الحركة الوطنية ثانوية " المعهد الحر " في تطوان لمتابعة التلاميذ دراستهم بعد إنهائهم المرحلة الابتدائية، ولاسيما أن الرحلة البرية – البحرية إلى نابلس كانت مليئة بالمصاعب. إذْ كان السفر من تطوان إلى فلسطين عن طريق البحر، يبدأ من تطوان إلى سبته (شمال المغرب) بالقطار، ومن سبته يستمر السفر إلى جبل طارق بواسطة باخرة صغيرة تسير من جبل طارق إلى ميناء حيفا على الساحل الفلسطيني. ولم تكن البواخر من الدرجة الأولى، بل كانت سيئة إلى حد بعيد، وهي بواخر بريطانية أو يونانية أو فرنسية، تتوقف في رحلتها من جبل طارق إلى حيفا في موانئ كثيرة جداً؛ لأنّها تنقل البضائع إلى جانب الركاب، وكانت تستغرق الرحلة أكثر من أسبوعين، وأهم محطات الباخرة كانت جبل طارق ثم مرسيليا أو طولون ومنها إلى جنوة أو نابولي في ايطاليا، ثم إلى بيريوش في اليونان، وأزمير في تركيا ثم حيفا. وكان الطلاب يستعملون

[٣٦]- المهدي بنونة، المغرب...، ص ١٥ .

جوازات سفر إسبانية، ولكن في خانة الجنسية يكتبون "مغربي"، علماً أن المغاربة اعتادوا السفر إلى إسبانيا في تلك الأيام دون جوازات سفر[٣٧]، ورغم صعوبات السفر وقسوته، فقد تجاوزت الأعمار الشابة الإرهاق الكبير لأنهم كانوا يمضون الوقت في اللعب واللهو ليخففوا من مشاق الرحلة .

٤-الحياة داخل مدرسة النجاح:

شُيدت مدرسة النجاح بالأحجار مثل باقي منازل نابلس، وكانت مكونة من أربعة طوابق، الطابق الأرضي وفيه المطاعم والمخازن، وتحته مستودعات للتخزين. والطابق الثاني به حجرات الدراسة. أمّا الثالث فقد كان مخصصاً لسكن الطلاب.

كانت المدرسة تضم ما يقرب من مئة طالب، ينامون في عنابر طويلة، ويلحق بهذه العنابر مغاسل مشتركة، ولكل طالب خزانة (دولاب) ملابس. وكانت الحياة داخل المدرسة متقشفة جداً، وهي أشبه ما تكون بثكنة عسكرية، فقد حددت ساعات الدراسة والأكل واللعب. ودرجت المدرسة على اتباع نظام دقيق، كي يتخرج الطالب وهو منضبط في حياته ومواعيده ودراسته. ومن الطبيعي عندما يُمضي الطالب ست سنوات في المدرسة لابدّ أن يتكيف مع حياة الانضباط التي عاشها في المدرسة. وكان الطلبة يستخدمون فوانيس ((الكلوبات)) الكاز والكيروسين للإنارة، في وقت كان الميسورون من أهالي نابلس يستخدمون للإنارة مولد كهربائي. علماً أن الكهرباء كانت قد دخلت فلسطين آنذاك، ولكن سكان نابلس رفضوا أن

[٣٧]- المصدر نفسه، ص ١٥ .

تدخل الكهرباء المدينة لأن حق امتياز شركة ((روتنبرغ)) كان يعود إلى شركة صهيونية تجب مقاطعتها [٣٨].

٥-الأثر الوطني والقومي الذي تركته مدرسة النجاح في نفوس الطلبة:

عززت مقاطعة سكان نابلس لشركة "روتنبرغ" الروح الوطنية في نفوس الطلاب الذين درسوا في نابلس، وعكست أهمية مقاطعة الاستعمار ومشروعه الصهيوني وضرورته. ولاسيما أنّ الأساتذة الذين تلقى الطلاب التطوانيون العلم على أيديهم، كانوا من رواد الحركة الوطنية والقومية في المشرق مثل أكرم زعيتر رئيس اللجنة الملكية الأردنية لشؤون القدس، وكان من كبار كتاب الحركة الوطنية ومفكريها، والأستاذ الشاعر المعروف ابراهيم عبد الفتاح طوقان، وابن عمه حافظ طوقان الذي تقلد عدة مناصب في الأردن، والأستاذ واصف كمال أحد كبار الوطنيين والمكافحين الفلسطينيين، والأستاذ ممدوح السخن، والمؤرخ محمد عزة دروزه وشقيقه المرحوم محمد علي دروزه، والشيخ عبد الحميد السائح واميل توما الذي استمر في العمل الوطني.

تمكنت مدرسة النجاح بما قدمته للطلاب المغاربة الذين تلقوا تعليمهم فيها من كسر الحصار الثقافي والتعليمي الذي كان مضروباً بإحكام على طوق التلاميذ والطلبة المغاربة بسبب سيطرة الاحتلال الغاشم. ولاسيما أن هؤلاء الطلبة كانوا إلى جانب العلوم التي يتلقونها في المدرسة، يتطلعون إلى صحف متعددة الاتجاهات ساعدتهم على بلورة وعيهم الوطني، فيما كانت إحدى الوسائل التي أسهمت في تمكين الانتماء للأمة العربية لدى هؤلاء الطلاب، لما كانوا يكتبونه عن قضايا الشعوب العربية، وعن القضية الفلسطينية بصفة خاصة، بل فتحت هذه الكتابات الصحفية أو غيرها المجال للطلبة للكتابة عن القضايا المغربية، وكانوا يقومون بنشر الأخبار التي تصلهم من

[٣٨]- المهدي بنونة، المغرب....، ص ١٥ .

أهلهم في المغرب. وفي كتاب "اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب بالقضية الفلسطينية انطلاقاً من سنة ١٩٢٩ "الذي نُقل عن الوثائق الموجودة بخزانة السيد السفير أبو بكر بنونة[٣٩] العديد من الوثائق التي تبين أهم الموضوعات الوطنية التي نوقشت بين طلاب البعثات التطوانية وذويهم سواء ما يتعلق منها بفلسطين أو بالمغرب الأقصى، ولاسيما أنّ الصحف الفلسطينية كانت أول الصحف التي تحدثت عن "الظهير البربري"[٤٠] الذي أرادت سلطات الحماية الفرنسية أن تعمل بمقتضاه للتفريق بين المغاربة على أساس عرقي (عرب وبربر). هناك قلة في الوطن العربي تعرف تفاصيل "الظهير البربري " الذي كان إعلانه بمثابة الشرارة الأولى لانطلاق الحركة الوطنية المغربية.

رابعاً: لمحة عن الدور الوطني للطلاب المغاربة في فلسطين وفي المغرب الأقصى:

"تجذرت الأحاسيس والمشاعر الوطنية وسط مجموعة الطلاب القادمة من المغرب وتحولت إلى ارتباط قوي بقضايا الأمة العربية، وأضحى منطقياً أن تنتقل هذه المشاعر والأحاسيس إلى المغرب حين عدنا بعد ذلك"[٤١]، بهذه الكلمات يؤكد المهدي أن انطلاقتهم الوطنية كانت من مدرسة النجاح بنابلس، وأنه من الخطأ القول: إنّ".... الشعور بوحدة الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ولد مع الثورة المصرية في مطلع الخمسينيات، فقد تبلور هذا الاحساس منذ فترة طويلة"، بل يتابع المهدي "مازلت أذكر أننا كنا ننشد دوماً في المناسبات الوطنية في فلسطين نشيد الشاعر المجاهد فخري البارودي:

---

[٣٩]- أبو بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب بالقضية الفلسطينية انطلاقاً من سنة ١٩٢٩، الطبعة الأولى مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ٢٠١٠.

[٤٠]- الظهير وتعني الأمر السلطاني السامي، وهي توازي عبارة مرسوم في المعنى المتداول في منطقة المشرق العربي. بلقزيز، عبد الاله، وآخرون، الحركة الوطنية المغربية ومسألة القومية ١٩٤٧-١٩٨٦، محاولة في التاريخ، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى ، بيروت ، حزيران، ١٩٩٢، ص ٣٠ .

[٤١]- المهدي بنونة، السنوات.....، ص ٢٠.

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان

ومن نجد إلى يمن إلى مصر فتطوان " [٤٢]

"كما كنا ننشد أناشيد عن حزب عبد الكريم الخطابي، وأخرى تتحدث عن كفاح المغاربة حتى نُعّرف بقضايانا لإخواننا في المشرق، ومن بين الذين قرضوا شعر تلك الأناشيد الأستاذ ابراهيم طوقان" [٤٣].

ويؤكد أبو بكر بنونة في كتابه اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب بالقضية الفلسطينية انطلاقاً من سنة ١٩٢٩ نقلاً عن الوثائق الموجودة بخزانة السفير (أبو بكر بنونة) أن اهتمام الحركة الوطنية بشمال المملكة بالقضية الفلسطينية يعود إلى سنة ١٩٢٨، عندما "...التحق أفراد البعثة التطوانية للدراسة بمدرسة النجاح بنابلس، وكانت فلسطين لا تزال حينها ترزح تحت الاحتلال البريطاني... وأصبح العمل لنصرة فلسطين من أوجب الواجبات الدينية والدنيوية، وأصبح ارتباط المغاربة بالقضية الفلسطينية ارتباطاً عميقاً..." [٤٤]. كما أن أحداث

---

[٤٢]- المصدر نفسه، ص ٢٠ .

[٤٣]- يؤكد المهدي بنونة من خلال ما ذكره عن اتصالات والده مع رموز الحركات الوطنية في بلدان المشرق والمغرب أن التنسيق والقيام بنشاط موحد كان على مستوى البلاد العربية والإسلامية، وأن مشروع العمل العربي والإسلامي المشترك لم يكن مجرد فكرة، بل دخل حيز التطبيق أحياناً. وفي هذا الصدد يذكر أن والده سلمه مبلغاً من المال لتسليمه للمرحوم شكري القوتلي (١٨٩١-١٩٦٧) في سوريا، إسهاماً في تأسيس شركة وطنية سورية وهي شركة ((الكونسيروة العربية السورية)) عملت في مجال تعليب الفواكه والخضار وماتزال حتى اليوم إلا أنها أممت، وفكرة هذه الشركة تأسست عام ١٩٣١ كانت تهدف إلى جمع العرب من المحيط إلى الخليج في مشروع اقتصادي يسهم فيه العرب جميعاً. اذاً فكرة العمل العربي الموحد كانت موجودة ودخلت حيز التنفيذ منذ زمن طويل. المهدي بنونة، المغرب.....، ص ٢١ .

[٤٤]- أبو بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية....، ص ٤ .

البراق في العام ١٩٢٩ زادت في هذا الارتباط بقضية فلسطين كما هو واضح من رسالة الحاج عبد السلام لولده الطيب بنونة الذي يدرس في مدرسة النجاح التي مفادها رغبة المغاربة بإرسال المعونات إلى المغاربة العرب أسوة باليهود المغاربة الذين أرسلوا معونات لليهود المغاربة في فلسطين(٤٥).

وكما يذكر المهدي بنونة فإن عمله وزملاءه في فلسطين وتضامنهم مع إخوانهم في القاهرة وباريس لم يكن بالشيء السهل بسبب عدم توافر وسيلة للاطلاع على ما يجري داخل المغرب إلا عبر الرسائل الشخصية، لأنه لم تكن هناك صحافة في المغرب، يمكن الاعتماد عليها"... وحتى بالنسبة إلى القضية الفلسطينية التي عدنا من نابلس مشبعين بها لم "نتوفر" على وسيلة اعلامية نشرح من خلالها لأبناء الشعب المغربي حقيقة الوضع، واكتفينا بالجلسات الخاصة والحديث في الاجتماعات، متى كان ذلك متاحاً. وساعدنا هذا على نشر الوعي بالقضية الفلسطينية، كما أنشأ عبد الخالق الطريسي نادياً في تطوان وهو "نادي جمعية الطالب المغربية"(٤٦). وقد شكل هذا النادي منتدى نشيطاً، وكان منارة وطنية بمثابة " مدرسة الأطر" الوطنية، ومنفذاً لاندماج الشباب في غمار العمل الوطني. والكفاح ضد الاستعمار" (٤٧).

ولم يكن نشاط النادي متصلاً، إذ كثيراً ماعمدت السلطات إلى إلغاء اجتماعاته ومنع المحاضرات التي تلقى فيه، أمّا بالنسبة إلى القضية الفلسطينية، فلم تكن سلطات الحماية الإسبانية تجد غضاضة في تناولها داخل اجتماعات النادي "نادي جمعية الطالب المغربية"،

٤٥)- أبو بكر بنونة، المصدر السابق.....، ص ٩.

٤٦)- المهدي بنونة، المغرب....، ص ٥٦ .

٤٧)- المصدر نفسه.

"بل يمكن القول: إنها غضت الطرف عن هذا النشاط، بل بدا أن اسبانيا لا تعارض التنديد ببريطانيا وبالحركة الصهيونية"[٤٨].

كانت المرحلة الزمنية التي تم الاعتداء الصهيوني فيها على حائط البراق مليئة بالممارسات الاستعمارية الاستفزازية في معظم أقطار البلدان العربية، ومن أهمها المحاولات الصهيونية لتملك حائط البراق في القدس[٤٩]، والمؤتمر الافخارستي في تونس في العام ١٩٣٠[٥٠]، والاحتفال الفرنسي بمرور مئة عام على احتلالها الجزائر، والاحتفال بمرور خمسين عاماً على الحماية الفرنسية في تونس، وإصدار الظهير البربري في المغرب الأقصى في ١٦–آيار–١٩٣٠ من أجل التفرقة بين البربر والعرب في الأمور التشريعية والمدنية على اعتبار البربر– خلافاً للعرب– أصحاب منظومة عرقية ومحلية خاصة لا ينطبق عليها النظام الشرعي المطبق في عموم البلاد، وهو نظام شرعي إسلامي، وهذا ما اتخذته الحركة الوطنية المغربية دليلاً على وجود مشروع استعماري لتتصير البربر المغاربة، كما أنه يمنح المحاكم الفرنسية سلطة البت في المخالفات التي هي من طبيعة جنائية، التي تقع في المناطق البربرية، الأمر الذي يعني محاولة تقسيم وحدة البلاد[٥١]، ولم تكن خطورة الظهير تكمن في

---

[٤٨]- المهدي بنونة، المغرب....، ص ٥٠.

[٤٩]- محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، جزءان، دمشق، ج١، ص ٦١.

[٥٠]- المؤتمر الافخارستي هو مؤتمر كنائسي عالمي يجمع المسيحيين من مختلف العالم، ويعدّ المجمعي الفرنسي (لويس برتران Louis Bertrand) صاحب عقد هذا المؤتمر في قرطاج منذ انعقاد آخر مؤتمر (بلورد) في فرنسا سنة ١٩١٤ لأنها في نظر المجمعي أم الكنائس الإفريقية، ولأنها أنجبت القديس أوغستين ومنها تبلورت المسيحية. أحمد خالد، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٩، ص ٦٥ .

[٥١]- الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص ١٦١–١٦٤ .

رسمه إطاراً عاماً من المبادئ للفتك بوحدة المغرب الأقصى فحسب، بل تعدى ذلك إلى نطاق التصرف السياسي والإداري[٥٢].

دفعت هذه السياسة الاستعمارية الحاج محمد بنونة أن يرسل إلى ابن أخيه الطيب بنونة برسالة من تطوان بتاريخ ١٩٣٠/٧/١٤[٥٣] يخبره فيها أن ثلةٌ من الوطنيين اجتمعوا لمناقشة ثلاثة موضوعات هي:

١-مسألة تنصير البربر بالمنطقة الجنوبية.
٢-البحث في أنفع طريق يوصل صوت احتجاج الوطنيين إلى أسماع الحكومة الإسبانية على المدارس التي فتحتها بالريف والجبل وأوفدت إليها جيشاً من الرهبان ليبشروا أبناء المسلمين.
٣-المذاكرة في كيفية إقامة ذكرى الأربعين للشهداء الثلاثة الفلسطينيين (فؤاد حجازي – محمد جمجوم – عطا الزير)

وقد رد شبان جمعية الشبان المسلمين بنابلس ببيان تعاطف الفلسطينيين مع الشعب المغربي من خلال استنكاره لسياسة فرنسا التي ألغت المحاكم الشرعية وأغلقت المساجد والمدارس التي يُدرس فيها القرآن في محاولة لتنصير البربر[٥٤].

كان رجال الحركة الوطنية في كل من فلسطين والمغرب يتواصلون من خلال الرسائل التي كان كل من الطرفين الفلسطيني والمغربي يوضح فيها ما يجري على أرضه من جهة،

---

[٥٢]- الحسن بو عياد، الحركة الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص١٠ .
[٥٣]- أبو بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية... ص ٢١ .
[٥٤]- المصدر نفسه، ص ٢.

وموقفه مما كان يجري من ممارسات استعمارية من جهة ثانية. وقد جمعت هذه الرسائل بخزانة السيد السفير أبو بكر بنونة. وعن تلك الرسائل يذكر المهدي بنونة [٥٥] النشاط الذي قام به في نابلس، وكان وقتها «.... صغير السن قياساً بالعمل الذي قمنا به. فقد ذهبت إلى نابلس ١٩٢٩ وعمري لم يتجاوز عشر سنوات إلا أن اخوتي الكبار كانوا يدربونني على العمل، وفي إحدى المرات كنت مكلفاً بنسخ رسائلهم لأن آلات الطباعة لم تكن منتشرة. لذلك كنا ننسخ الرسائل بما يعرف وقتها ((بالبالوزة)) وهي عبارة عن قطعة من ((الكاوتش)) وتكتب المادة المراد طبعها على ورقة خاصة تلصق على قطعة الكاوتش بحبر بنفسجي، بعدها يمكن طبع الكتابة من جديد على أوراق بيضاء لأن كميات الحبر تتيح طباعة عدة نسخ، ومع أن النسخ التي تطبع بهذه الوسيلة محدودة لكنها كانت تكفينا. لأن الغرض كان تبادل الرسائل مع إخواننا في المغرب، والقاهرة وباريس، وذلك حتى يتسنى لهم الاطلاع على ما نقوم به من نشاط لصالح قضية المغرب. ونطلع نحن بدورنا على ما يقومون به من أنشطة».

خامساً: استنتاجات:

استطاع المغرب الأقصى أن يدافع عن نفسه ضد السيطرة العثمانية، في وقت تعرضت فيه بقية البلدان العربية في معظمها لهذه السيطرة، ولكنه لم يتمكن من حماية نفسه من السيطرة الغربية الاستعمارية التي جزأته وأصبحت فيه كل منطقة خاضعة لنفوذ إحدى الدولتين المحتلتين (فرنسا واسبانيا إضافة إلى منطقة دولية) ولكل منطقة من هذه المناطق نظامها الخاص لذلك كان لابد لرواد النهضة المغربية من البحث عن السُبل الناجعة ولاسيما بعد إخفاق ثورة الريف التي قادها الأمير عبد الكريم الخطابي لتجاوز واقعهم المرير، فكان أن

[٥٥]- المهدي بنونة، المغرب.....، ص ٢٣ .

اتجهت أنظارهم إلى بلدان المشرق العربي لإعادة صلتهم به، خاصة وأنه كان يشهد نهضة فكرية تمثلت بظهور عدد من التيارات الفكرية وجدت بعضها ترجمة لدى الرواد المغاربة.

وكان العديد من هؤلاء الرواد المغاربة شغوفين للتواصل مع النخبة الفكرية والوطنية التي كانت على الساحة المشرقية آنذاك، وكان للأمير شكيب أرسلان دور مهم في هذا التواصل المغربي المشرقي، الذي تطور ليأخذ شكل بعثات دراسية أتت من تطوان في المغرب الأقصى إلى مدرسة النجاح بنابلس في فلسطين لتلقي العلم، وكان ذلك بين العامين ١٩٢٨ – ١٩٣٥ ومن أهم نتائج هذه البعثات أنها أسهمت في تجذير الأحاسيس والمشاعر الوطنية وسط المجموعة القادمة من المغرب، لتتحول فيما بعد إلى ارتباط قوي بقضايا الأمة العربية، وبالتالي «أضحى منطقياً أن تنتقل هذه المشاعر والأحاسيس إلى المغرب، حين عدنا بعد ذلك»[٥٦] على حدّ تعبير المهدي بنونة؛ لأنّ هؤلاء الطلاب تمكنوا مع العديد من الطلبة الذين تلقوا العلم في بلدان أخرى أن يشكلوا نواة الحركة الوطنية المغربية، فضلاً عن أن هؤلاء الطلبة أسسوا لعلاقة مغربية مشرقية كان لها أثرها الفكري ليس في المغرب الأقصى فقط، بل في المغرب العربي بشكل عام، إلى جانب حضورهم اللافت في القضايا المشرقية على أكثر من صعيد، لدرجة يمكن فيها القول: إنّ الشعور بضرورة وحدة الأمة العربية قد أخذ يتبلور منذ تلك المرحلة، أي في نهاية عشرينيات القرن العشرين وبداية الثلاثينيات، وليس كما يعتقد بعضهم أنه تولد مع الثورة المصرية مطلع الخمسينيات رغم الدور المهم لهذه الثورة.

[٥٦]- المهدي بنونة، المغرب.....، ص ٢٠ .

سادساً: الخاتمة:

رغم عوامل التجزئة التي فرضها الاستعمار الغربي بين شطري الوطن العربي المغربي والمشرقي، ورغم الحصار الثقافي والتعليمي الذي ضرب بإحكام على طوق التلاميذ والطلبة المغاربة من قبل الفرنسيين والاسبان، تمكن بعض رواد الحركة الوطنية المغربية من خلال علاقتهم ببعض الرواد المشارقة من العمل على كسر هذا الحصار، وإرسال أبنائهم لمتابعة دراستهم في مدرسة النجاح بنابلس بين العامين ١٩٢٩ – ١٩٣٥ ليعودوا بعد ذلك وقد تجذرت الأحاسيس والمشاعر الوطنية وسط هذه المجموعة القادمة من المغرب، بل تحولت إلى ارتباط قوي بقضايا الأمة العربية، إذْ أضحى منطقياً أن تنتقل هذه المشاعر والأحاسيس إلى المغرب، حين عادوا إليها.

الملاحق

1929. أساتذة و طلبة مدرسة النجاح الوطنية بنابلس
في وسط الصف الثالث الطالب السيد الطيب بنونة – الخامس من اليمين –

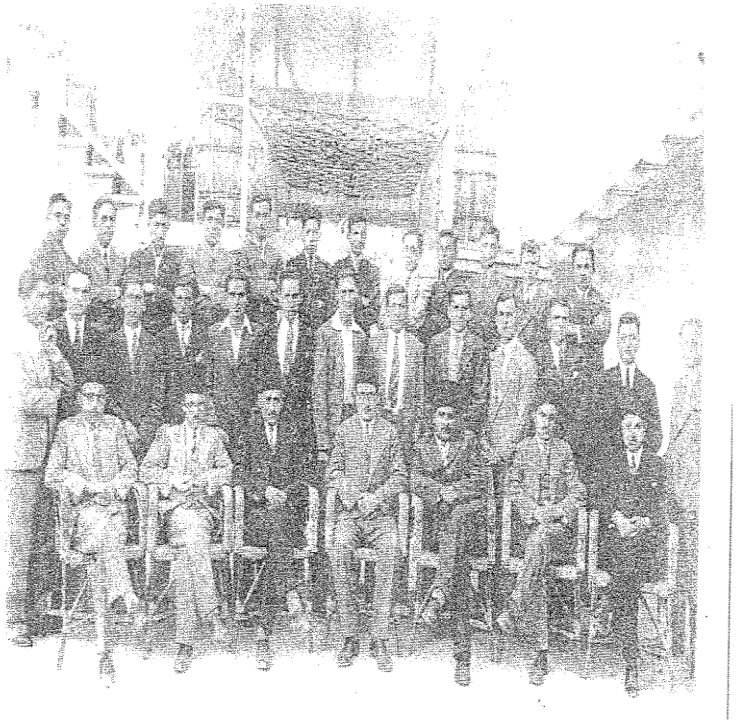

المصدر: أبو بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية... ص٢٠

1935. الفصل الذي يَدرس به السيد المهدي بنونة بمدرسة النجاح الوطنية بنابلس

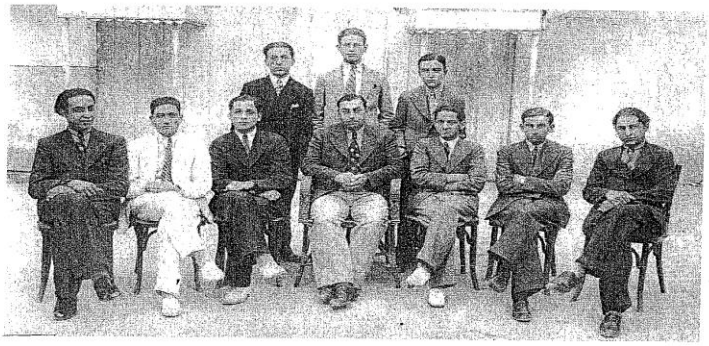

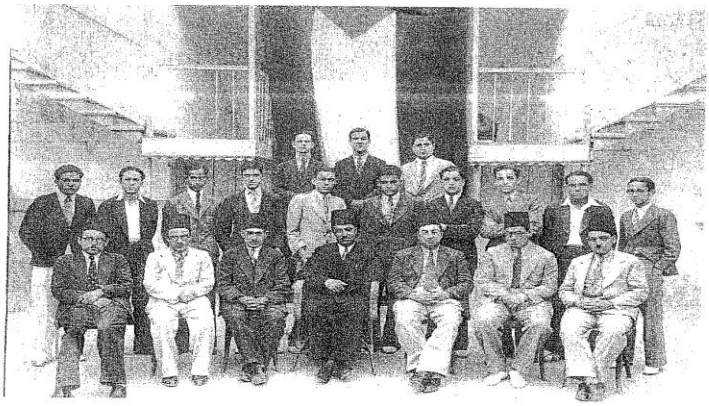

1935. أساتذة و خلية مدرسة النجاح الوطنية بنابلس يتوسطهم مدير المدرسة السيد عبد اللطيف الحبال

78

المصدر: أبو بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية... ص ٧٨

رسالة بتاريخ 19 شتنبر 1929 من الأستاذ أديب مهيار للسيدين: محمد مصطفى أفيلال و الطيب بنونة

نجرة التلفون (٤٢)
« صندوق البريد (٧)

النبات عنوان النجاح

نابلس في ١٩ سبتمبر

1039

المصدر: أبو بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية... ص٢٠

رسالة بتاريخ 16 9 1931 من الأمير شكيب أرسلان إلى الحاج عبد السلام بنونة مما جاء فيها:

1584

نسيت شيئاً وهو الهم

اقرأ المكتوب الواصل طيه الوارد لنا من الحاج امين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الذي فيه تفهم قضية مؤتمر على عقد مؤتمر اسلامي عام في القدس

جاوبته بمكتوب طويل ٨ صفحات كبار فيه كل شيء. طلبت ان لا يكون المؤتمر في التاريخ الذي عينه في اعلانه بل يتأخر الى رجب بأقل لأنه ان كان المقصود مؤتمر يقتصر على الشام ومصر والعراق والحجاز فيمكن في هذا الميعاد اما ان كان لابد من دعوة التركستان وبلاد البلقان وافغانستان وايران والهند والجاوى والمغارب كلها فهذا الميعاد قريب جداً والناس لا بد لها من المذاكرة ومن تهيئة اسباب السفر

طلبت ان لا يكون برنامج المؤتمر ضيقاً جداً كمسئلة البراق مثلاً اذ عند ذلك لا يراها المسلمون تستحق السفر من وراء البحار وان يكون واسعاً جداً عاماً جميع خطوب العالم الاسلامي الكبيرة وذلك خوفاً من ان تقوم دول الاستعمار وتمنعه ثم خوفاً من فشل المؤتمر وعدم نفوذ شيء من قراراته فيكون في ذلك محل شماتة بالاسلام وظهور لضعفه الزائد . قلت يجب ان يكون موضوع عقد هذا المؤتمر النظر في امور « الاراضي المقدسة » اي فلسطين « فيقال هذه المسئلة دينية

٢

ليست سياسية على ان امور الاراضي المقدسة تتناول صيانتنا فتدخل
في ذلك قضية صيانة فلسطين للعرب وصيانة الحجاز وجميع جزيرة
العرب ووجوب تحالف ملوكه العرب الخ وتدخل قضية اصلاح احوال الحجاز
العمرانية وتسهيل الحج وترفيه الحجاج برا وبحرا الخ .
وفي أثناء عقد المؤتمر الذي يكون هذا برنامجه الظاهر تنعقد جلسات
سرية تحت الديمان المحافظة والطلاق لاجل المذاكرة في الامور الاسلامية
الدينية واصدار قرارات برأ كمسئلة البربر ومسئلة طرابلس الغرب وغيرها

وقد عددت جميع المسائل المحاضرة وعددنا الى
اشرت بدعوة جميع بلاد الاسلام بدون استثناء وان ترسل الدعوة الى
الجمعيات واللجان والرئيسات الدينية والوطنية وعددنا والى الشهير
من الاشخاص وذكرت بعضهم على سبيل الاستشهاد مثل بنونه

قلت لهم ليوخروا دعوة المغرب الى ان تكون تمت كل الدعوات وصدر
اذن الحكومة الانكليزية به وذلك لاني اخشى ان فرنسة اذا علمت
به تسعى لدى الكثرة بمنعه بتاتاً اما منع اهل المغرب والجزائر وتونس
من حضور المؤتمر فهذا سيكون وانما يكفي انابة اهل المغرب اناساً
من المغاربة الذين في الشام ومصر وهم كثيرون

على اني اشرت بارسال الدعوة على كل حال لكم والداود والحكوار ولعلال
الناسي ولعبدالحي الكتاني ولعمر التازي وللشيخ شعيب والوزير المنبهي
والمولى عبدالرحمن بن زيدان والوزاني

وبعد ان تقرأوا المكتوب الذي من الحاج امين تعيدونه لي مع ملاحظاتكم

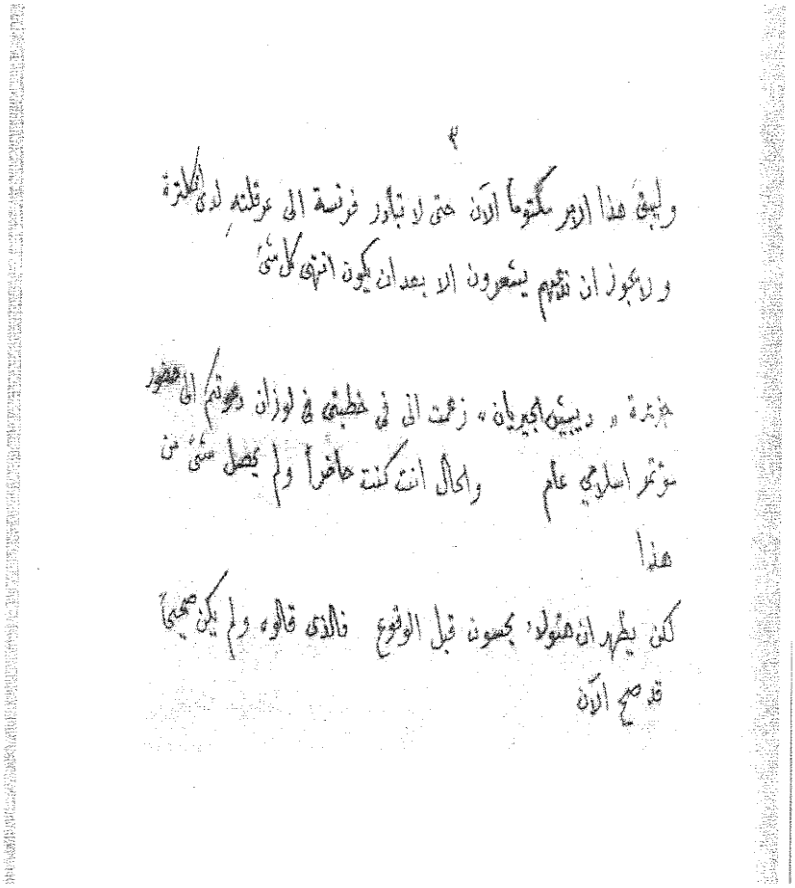

المصدر: أبو بكر بنونة، اهتمام الحركة الوطنية... ص٣٩-٤٠-٤١

قائمة المصادر والمراجع:

١- آشفورد: دوغلاس آي، التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمة عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣.

٢- أرسلان: شكيب، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ، تقديم رشيد رضا، القاهرة.

٣- بلقزيز: عبد الاله، وآخرون، الحركة الوطنية المغربية ومسألة القومية ١٩٤٧-١٩٨٦، محاولة في التاريخ، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، حزيران، ١٩٩٢.

٤- بنونة: أبو بكر: اهتمام الحركة الوطنية بشمال المغرب بالقضية الفلسطينية انطلاقاً من سنة ١٩٢٩، الطبعة الأولى، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ٢٠١٠.

٥- بنونة: المهدي، المغرب السنوات الحرجة، الطبعة الأولى، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩.

٦- بو عياد: الحسن، **الحركة الوطنية والظهير البربري**، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

٧- البوعياشي: أحمد، **حرب الريف التحررية ومراحل النضال،طنجة،١٩٧٩.**

٨- جوليان: شارل أندريه تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد المزالي، **البشير بن سلامة،** الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨.

٩- الحصري: ساطع، حولية الثقافة العربية، السنة الثانية، ١٩٥٠-١٩٥١.

١٠- خالد: أحمد، **أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ونضال جيل،** الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٩.

١١– خوري: فيليب، **سوريا والانتداب الفرنسي –سياسة القومية العربية ١٩٢٠– ١٩٤٥**، ترجمة مؤسسة الأبحاث العربية طبعة أولى، بيروت،١٩٩٧.

١٢– خليل : فتحي، سلامة موسى وعصر القلق، سلامة موسى للنشر والتوزيع، القاهرة .

١٣– حكيم: محمد بن عزوز، أب الحركة الوطنية المغربية عبد السلام بنونة، حياته ونضاله، الرباط، الهلال العربية للطباعة والنشر، ج٢، ١٩٨٧ .

١٤– حمادة : محمد عمر، أعلام فلسطين في القرن السابع حتى العشرين ميلادي، طبعة أولى، دار قتيبة، ١٩٨٥ .

١٥– حوراني: البرت، الفكر العربي في عصر النهضة، ١٧٨٩ – ١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، الطبعة الثالثة، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧ .

١٦– شبيب: سميح، محمد عزة دروزة تسعون عاماً من الكفاح، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٨، أيلول، ١٩٨١.

١٧– الشرباصي: أحمد، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، دار الجيل، بيروت.

١٨– غنيم: عادل، محمد عزة دروزة، دار النهضة العربية ، القاهرة، ١٩٨٧ .

١٩ – دروزة: محمد عزة، مذكرات محمد عزة دروزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ .

٢٠ – فارس: محمد خير، المسألة المغربية ١٩١٢ – ١٩٣٩، دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٠.

٢١– قاسمية: خيرية، **الوطن العربي بين الاتجاه القومي ودوافع التجزئة في الفترة بين الحربين العالميتين**، مجلة دراسات تاريخية، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق، عدد ١٢، أيار، ١٩٨٣.

٢٢- كريم: عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، شركة المطيع للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٧٧، ص ١٨٦-١٨٨ .

٢٣- مالكي: أمحمد، **الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣ .

٢٤- الفاسي: علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، مراكش، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٢٥- محافظة: علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩١٤، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٧ .

٢٦- نابلس: جريدة، نابلس، فلسطين، ٢٢ -٣- ١٩٩٦ .

٢٧- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، أربعة أجزاء، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٤ .

28- Ali Merad , Le Reformisme, musulman en Algérie, De 1925 A 1940, Las Editions El .Hikma, Alger, 1999.

29- Coissac De Chavrebiere : Histoire Du Maroc Poyot , Paris , 1931.

30- Modernization in The Middle East The Ottoman Empire And Its Afro-asian Successors . Written Under The Auspices Of The Center Of International Studies And The Program In Near Eastern Studies , Princeton Universty Gyril E. Black And L. Carl Brown , Editors .

****